التَّعليم الإسلاميُّ بشرقِ إفريقيا.. أوغندا نموذجاً

د. آدم بمبا (*)

مقدمة:

يُراد بمنطقة «شـرق إفريقيا» الجزء الواقع من القـارَّة الإفريقية على سـواحل المحيـط الهنديِّ، وجزيرة مدغشـقر وجزر القمر، والجـزر الصَّغيرة حواليها، وتمثِّل منطقة شرق إفريقيا الدُّول القُطْريَّة الحديثة التي يصل تعدادها إلى تسع عشرة دولة، لكنَّ المراد بـ «شـرق إفريقيا» عادةً - وفي هذا المقال - ثلاث دُوَل فحسب، هي: كينيا، وتنزانيا، وأوغندا.

أولاً: القواسم المشتركة بين الدُّول الثَّلاث:

(١) وقوعها فـي منطقة التَّلاقـي بين جزيرة العرب وإفريقيا:

وقد ترتَّبت على هذا تأثيراتٌ اجتماعيَّة وتاريخيَّة وثقافيَّة مميَّزة، ففي هذه الدُّول الثَّلاث مجتمعةً أكثر من (١٢٠) مليون نسـمة، ونسبة المسلمين من هذا العدد أكثر من (٦٠٪)، أي ٧٠ مليون مسـلم تقريباً، وفـي زنجبار مثلاً ذات الحضور الإسـلاميِّ القويِّ تصل نسبة المسلمين إلى (٩٨٪).

(٢) اللُّغة السَّواحلية لغةٌ مشتركة:

«السَّواحلية» لغة مشتركة بين دول شرق إفريقيا، بل جاوزت تلك الـدُّول إلى العمق الإفريقيِّ في دول وسط القارَّة، وتلك ميزة لغويَّة غير موجودة في سائر مناطق إفريقيا.

(٣) مراكز إسلاميَّة حضاريَّة عريقة:

تتميَّز منطقة شرق إفريقيا بأنَّ المدَّ الإسلاميَّ فيها كان عبر التِّجارة البحريَّة، وهي تختلف - مثلاً - عن منطقة غرب إفريقيا التي كان المدُّ الإسلاميُّ فيها عن طريـق التِّجارة البريَّة الصَّحراويَّة، والميزة فـي التِّجارة البحريَّة أن عمليَّـة التَّثاقف والاندماج فيها أسرعُ وأوسَع؛ لأنَّ المظاهر الثَّقافيَّة تُنقل - كما هي - مـن الضَّفة الأصل إلـى الضَّفة الهدف دون يطرأ عليها عبر الرِّحلة البحريَّة تغييرٌ ملاحظ، لأجل ذلك وُجدت على امتداد سـواحل إفريقيا الشَّرقيَّة، من مقديشو شمالاً حتى سـفالة (موزمبيق)، مراكز علميَّة في بُؤر حضاريَّـة مميَّزة لا تقلُّ عن مثيلاتها في الضَّفة الأُخرى في جزيرة العرب، عُرفت بممالك الزيلع الإسلاميَّة أو ممالك الطِّراز الإسلامي[٢].

(٤) اضطرابات اجتماعيَّة عنيفة:

لقـد مُني المسـلمون في بلاد شـرق إفريقيا باضطرابات سياسـيَّة أو اجتماعيَّـة عنيفة، أثَّرت مباشـرة فـي النِّظـام التَّعليمي الإسـلاميِّ لدى المسـلمين، ففي زنجبـار - مثلاً - تأثَّـر التعليم الإسـلاميُّ في فتـرة (١٩٦٤ - ١٩٧٢م) بالظُّروف السِّياسيَّة التي أصبحت زنجبار على إثرها جزءاً من (تنزانيا)، وهي الفترة التي شهدت إغلاق الكثير من المؤسَّسات التَّعليميَّة، والقنوات الفاعلة في المجتمع الإسـلاميِّ، وسـيطرة الحكومة المركزيَّة في «دار السَّـلام» على القطاع التَّعليميِّ وغيره من مناشـط الحياة.

كذلـك الحال في أوغندا في عهد الاسـتعمار، حين وقعت حربٌ أهليَّة بين المسـلمين والنَّصارى،

(*) أكاديمي من ساحل العاج.

(٢) عبدالحليم، رجب محمد: العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى، ١٩٨٥م، ص ٩.

تشتَّت شمل المسلمين على إثرها، ومُني التَّعليم الإسلاميُّ في تلك الفترة بانتكاسة حادَّة.

التعليم الإسلاميّ بأوغندا يشهد ركوداً واضحاً عمَّا كان عليه في الماضي

(٥) قوَّة التَّحدّي الكنسي:

على الرغم من السَّبق الإسلامي المبكِّر إلى منطقة شرق إفريقيا، وكون المسلمين أغلبيَّة في معظم مناطقها، فإنَّ المسيحيَّة ما برحتْ أن أصبحت قوَّة متحدِّية للوجود الإسلاميِّ في هذه المنطقة، وغدت متحكمة في الأكثريَّة المسلمة في معظم الأحيان، خصوصاً في شؤون التَّربية والتَّعليم والسِّياسة، فجمهوريَّة كينيا - مثلاً - بها مقرُّ المجلس الأعلى للكنائس بإفريقيا (AACC)، وفي عام ١٩٩٣م حين انضمَّت زنجبار إلى منظمة المؤتمر الإسلاميِّ؛ اعترض عليها نوَّابٌ مسيحيُّون في البرلمان التنزاني بحجَّة أن الدَّولة ليست إسلاميَّة، وأنَّ هذا الانضمام يُشكِّل خرقاً للقانون الوطني، فردَّت زنجبار بأنَّ تنزانيا لها تمثيلٌ دبلوماسيٌّ مع الفاتيكان، وعلى الرغم من هذه الحجَّة البالغة فإنَّ زنجبار أذعنت للقوَّة المسيحيَّة، فخرجت من منظمة المؤتمر الإسلاميِّ[١].

(٦) بروز المؤسَّسات التَّعليميَّة الإسلاميَّة:

تتميَّز منطقة شرق إفريقيا بالتَّنامي الملاحظ للمؤسَّسات التَّعليميَّة العالية بها، من جامعات وكليَّات ومعاهد عليا، وذلك منذ عصر الانفتاح في العقد الأخير من القرن الماضي، ففي زنجبار: المعهد الإسلامي (أُسِّس في ١٩٥١م)، كليَّة التَّربية الجامعيَّة، وهي من إنشاء لجنة مسلمي إفريقيا (١٩٩٨م)، وبها تخصُّصات مختلفة في الدِّراسات الإسلاميَّة واللُّغة العربيَّة، والعلوم الإنسانيَّة والتَّطبيقيَّة، وجامعة الأمَّة بمنطقة «ثيكا» بكينيا، وكليَّة الشَّريعة والدِّراسات الإسلاميَّة أيضاً بالمنطقة نفسها (١٩٩٨م)[٢]، وجامعة المستقبل في شمال شرق كينيا، وجامعة راف العالمية الحديثة بالعاصمة، ولعلَّ أوغندا وحدها هي التي لا توجد بها إلاَّ الجامعة الإسلاميَّة (IUIU).

(٧) إقصاء المسلمين، أو قصورهم، عن المشاركة في التَّربية والسِّياسة:

على الرغم من أنَّ المسلمين يمثِّلون أغلبيَّة في كينيا وتنزانيا مثلاً؛ فإنَّ شؤون السِّياسة والإدارة والتَّعليم ما زالت منفلتةً من أيديهم، وفي كينيا - مثلاً (عام ١٩٨٣م) - أظهر تقريرٌ رسميٌّ أنَّ (٧٨٪) من الطَّلبة الملتحقين بالثَّانويَّة مسيحيُّون كاثوليك، والبقيَّة من غير المسيحيِّين، وفي فترة (١٩٨٦ - ١٩٩٠م)، أكَّدت إحصاءات جمعيَّة مسلمي جامعة دار السَّلام أنَّ تعداد الطَّلبة المسلمين بهذه الجامعة لا يتجاوز (٥٨٢) من مجموع (٤١٩١) من غير المسلمين؛ أي بنسبة (١٣٪) فحسب، وفي حقبة التِّسعينيَّات، كانت هناك ستُّ جامعات بكينيا، وعشرات الثَّانويات الحكوميَّة، ولكن لم يكن شيءٌ منها في مناطق السَّاحل ذات الأغلبيَّة المسلمة[٣].

هذا، ولا بدَّ من الإشارة هنا إلى بعض جهود مسلمي شرق إفريقيا المباركة، والذين اقتنعوا منذ

---

(١) Thomas Burgess and Ali Sultan Issa: Race, Revolution, and the Struggle for Human Rights in Zanzibar, (Ohio University Press, 2009), p .294

(٢) بامبا يوسف محمد: التعليم الإسلامي وقضاياه المعاصرة في إفريقيا، (الخرطوم: مركز دراسات الإسلام والعالم المعاصر، ٢٠١٠م)، ص ١٣٠، عن: عبد المنعم حسن الملك: تحليل البيئة التعليمية والتربوية في شرق إفريقيا.. كينيا نموذجاً، الخرطوم: مجلة الدراسات الإفريقية، ع ٤٢ - ديسمبر ٢٠٠٩م، ص ٢١٥.

(٣) AbdulazizLodh: "Muslims in Eastern Africa: Their Past and Present", Nordic Journal of African Studies, 3 (1), 88 - 94, 1994. p 94.



فترة مبكِّرة بضرورة المزاوجة بين العلوم الشَّرعيَّة والعلوم العصريَّة في المدارس الإسلاميَّة، وتُعدُّ تجربة الشَّيخ الأمين المزروعي (١٨٩٩ - ١٩٤٩م) بهذا الصَّدد من بواكير التَّجارب النَّاجحة بكينيا في التَّوفيق بين المنهجين التَّعليميَّين: العلوم الشَّرعيَّة واللُّغة العربيَّة والتَّاريخ والرِّياضيَّات وغيرها، وقد امتدَّت تجربة المزروعي إلى مدارس أخرى بكينيا، منها: مدرسة الشَّيخ محمد عبد الله الغزالي، ومدرسة الشَّيخ عبد الله الحسني، ومدرسة الفلاح في ممباسا[١].

تلك قواسمٌ مشتركة نحسبها كافية لتكوين مواقف ووضع أطرٍ عامَّة عن التَّعليم الإسلاميِّ في كينيا، وتنزانيا، وأوغندا، وما يصدق على دولة من الدُّول الثَّلاث يصدق معظمه في واقع الدُّول الأخرى في منطقة شرق إفريقيا.

وسوف نخصُّ الحديث في الفقرات الآتية بأوغندا؛ ليكون ذلك نموذجاً عن التَّعليم الإسلاميِّ بمنطقة شرق إفريقيا في إطاره العامِّ.

ثانياً: الإسلام والتَّعليم بأوغندا:

يرجع المدُّ الإسلاميُّ بأوغندا إلى حركة التِّجارة بين السُّكان المحليِّين والتُّجار السَّواحليين والعرب الذي توغَّلوا في مناطق أكولي ولانْغو، وغيرهما من المناطق الشَّماليَّة بأوغندا الحديثة.

أما المدُّ الفعليُّ للإسلام فكان من مملكة بُوغندا (بالباء) بوسط البلاد، في النِّصف الأوَّل من القرن التَّاسع عشر الميلاديِّ، وخصوصاً في عهد الكاباكا (الملك) موتيسا (ت ١٨٨٤م)، الذي أسلم على يد التّاجر الدَّاعية الشَّيخ خميس بن عبد الله، وقرَّب التُّجار المسلمين، وأوكل إليهم وظائف إداريَّة مهمَّة، وزاد ذلك بتعلُّمه مبادئ العربيَّة، وبترجمة أجزاء من القرآن الكريم إلى لغة البوغندا، والالتزام الصَّارم بحدود الشَّريعة الإسلاميَّة، وقد ارتبط التَّعليم الإسلاميُّ بهذا العهد المبكِّر؛ إذ شجَّع الملك تعليم العربيَّة والقرآن في الكتاتيب التي نشأت بالمساجد في ربوع مملكة بوغندا[٢].

ولم يزعج هذا التَّنامي الطَّبيعي للإسلام وحركة التَّعليم إلا الحضور الاستعماريُّ، والنَّشاط التَّنصيريُّ الذي رافقه عام ١٨٧٧م، وزجُّ بشعب بوغندا في حربٍ دينيَّة بين المسلمين والنَّصارى في العقد الأخير من القرن التَّاسع عَشَر؛ كانت الغلبة العسكريَّة فيها للنَّصارى، غير أنَّ ذلك كان - في حقيقته - نصراً للإسلام؛ إذ تشتَّت المسلمون المهاجرون في أرجاء المملكة، وامتزجوا بقبائل نائية ما برحتْ أن أسلمت على أيديهم.

على سبيل المثال؛ فإنَّ منطقة بوغْويري (Bugweri) الشَّرقيَّة، التي تعدُّ الآن أكثر مناطق أوغندا إسلاماً (٧٠٪)، يرجع إسلامها إلى إسلام زعيمها القبليِّ مينْهيا (Menhya)[٣]، ومن أكثر المناطق ذات الحضور الإسلاميِّ أيضاً: منطقة (Arua) في الشَّمال الغربيِّ، و (Busaga) في الشَّرق، و (Ankole) في الغرب، وبُوغنْدا في الوسط.

عليه؛ فإنَّ هذا التَّوزيع الواسع للمسلمين على رقعة أوغندا قد وفَّر على الدُّعاة جهوداً دعويَّة مضنيَّة، وأفاد المسلمين اجتماعيّاً واستراتيجيّاً؛ بانضواء مختلف القبائل تحت مظلَّة الإسلام، بما في ذلك الزّعامات القبليَّة التَّقليديَّة، كما أفادهم اقتصاديّاً حيث ظلَّت حركة التِّجارة في قبضة المسلمين تبعاً للتَّبادلات التِّجاريَّة بين القبائل المذكورة في مختلف أرجاء أوغندا.

(١) تحليل البيئة التعليمية والتربوية في شرق إفريقيا، مرجع سابق.

(٢) Reid Richard: "Images of African Ruler: KabakaMutesa of Buganda, ca 1857 - 1884", History in Africa, Vol. 26 (1999), p 269 - 298.

(٣) Kiyimba, Abasi: "Islam in Uganda: A situational Report", Uganda Muslim Youth Assembly, 2005.

وعلى الرغــم من الحملة التَّنصيريَّة الشَّرســة التي أعقبت هزيمة المســلمين العسكريَّة، بالطَّمس القسريِّ للهويَّة الإســلاميَّة، وإجبار المسلمين على تغيير أســمائهم، والالتحاق بمدارس الإرســاليَّات الكنســيَّة، فإنَّ الجيل الأوَّل من المثقَّفين المسلمين ثقافةً غربيَّة مســيحيَّة؛ قد اســتطاعوا أن يقاوموا هذا الطَّمس والتَّدجين، وعلى أيدي أولئك الغيورين كانت إعادة الصُّفوف، وتأســيس جمعيَّة مســلمي أوغندا للتَّعليم (Uganda Muslim Education Association، UMEA)، وهــي حجــر الزَّاوية لحركة التَّعليم الإسلاميِّ بأوغندا الحديثة.

أ - بدايات التَّعليم الإسلاميّ الحديث بأوغندا:

تعود بدايــات «التعليم النظامــي» الفعليَّة إلى العقــد الأوَّل من القرن العشــرين، وذلــك بعد أن وضعت الحــرب الدِّينيَّة بين المســلمين والنَّصارى أوزارها (١٨٨٥ - ١٨٩٩م)، إذ ظهر التَّعليم الإسلاميُّ النِّظاميُّ بأوغندا إلى جانب التَّعليم التَّقليديِّ المعهود في الكتاتيب،

وعلى الرغم من هزيمة المســلمين في ســاحة الحرب، والحملة الشَّرســة التي انتهجها المستعمر ضدَّ المســلمين، وحظر التَّعليم الإســلاميِّ، وإلغاء اللُّغة السَّــواحلية ذات العلاقة العضويَّة بالإسلام[1]، واحتكار الإرساليَّات المســيحيَّة للنَّشاط التَّعليميِّ، والعراقيل الكثيرة في وجه المســلمين الرَّاغبين في فتح مدارس، فإنَّ بداية التَّعليم الإســلاميِّ النظامي المتمثِّل في «المدارس» كانت بداية واعية قويَّة على مســتوى التَّحدي القائم، وتعني القوَّة هنا «النَّوعيَّة»، وحــدَّة الشُّــعور بالتَّحدِّي، حيث صابر المســلمون الراغبــون في فتح مــدارس وصمَّموا فــي العمل، واضطــرَّت القوَّة الاســتعماريَّة للاعتــراف بثماني عشرة مدرسة في عام ١٩٣٥م.

بعد حوالي عقد من الزَّمن (١٩٤٤م)؛ تم تأسيس الجمعية التَّعليميَّة لمســلمي أوغندا (UMEA)[2] علــى يد الــرُّواد الأوائل من المســلمين، وجاء في قمَّة أهدافها: «العمل من أجــل التَّناغم بين التَّعليم الإسلاميِّ وبين نظام التَّعليم اللَّاديني»؛ ممَّا يدل على قوة شــعور المسلمين بهذا الإشــكال الجوهريِّ في واقع التَّربية والتَّعليم في أوساط الشُّعوب المسلمة.

وقامت هذه الجمعيَّة بمهامٍّ متعددِّة، مثل تحديث المناهج، ووضع مقرَّرات، والإشراف على المدارس الحديثة، ونجحت في الخمســينيَّات والسِّتينيَّات من فتح (١٨٠) مدرسة ابتدائيَّة، و (١٨) مدرسة ثانويَّة، ومعهــد لتدريــب المعلِّمين في عــام ١٩٥٤م، وتلك إنجازاتٌ لا يُستهانُ بها إذا ما قورن الواقع الأوغنديُّ بواقع دُوَلٍ إفريقيَّة جنــوب الصَّحراء، خصوصاً في غرب إفريقيا التي لم تشهد قيام هيكل تربويٍّ مماثلٍ لجمعيَّة (UMEA) إلا في التِّســعينيَّات من القرن الماضي.

في الوقــت الحاضــر؛ تبلغ نســبة المدارس الإســلاميَّة التابعة لهذه الجمعيَّــة وتحظى بالدَّعم الفنــيِّ والماديِّ منها (٧٥٪) مــن مجموع المدارس بأوغندا، وقد بلغ تعداد تلك المدارس عام ٢٠٠٧م، ٣٥٠٠ مدرسة ابتدائيَّة، و ٢٠٠ مدرسة ثانويَّة، وأربع معاهد لتدريب المعلِّمين، وخمس مدارس تقنية[3].

ومــن الهيئات المنبثقة عن الجمعيــة التَّعليميَّة لمســلمي أوغندا (UMEA) اتِّحاد معلمي أوغندا المســلمين Uganda Muslim Teacher's Association، ومن أهمِّ أهداف هذا الاتِّحاد: دعم المــدارس والمعلِّمين ماديّاً ومهنيّــاً، وإعداد الكتب المدرســيَّة لمختلف المواد الدِّراســيَّة الإسلاميَّة،

(١) Moulton، Jeanne: Madrasah Education: what Creative Associates has learned، (Washington، 2008)، p 33.

(٢) Lapidus، Ira Marvin: A History of Islamic Societies، (Cambridge University Press)، p 778.

(٣) USAID، p 35.

وتوحيد المقرَّرات بين جميع المدارس بالدَّولة، إلى جانب الارتقاء بالمستوى الوظيفيِّ للمعلِّمين[1].

ب - واقع التَّعليم الإسلامي بأوغندا:

لم تتوفَّر بأيدينا تقاريرٌ ترصد سيرورة التَّعليم الإسلاميِّ بأوغندا وتطوُّره بدقَّة[2]، ولكن بالنَّظر في الواقع الرَّاهن لهذا التَّعليم ومواقف المشتغلين به منه؛ يتبيَّن أنَّ التعليم الإسلاميَّ بأوغندا يشهد ركوداً واضحاً عمَّا كان عليه في الماضي، ويمكن إرجاع هذا التَّردِّي في واقع التَّعليم الإسلاميِّ بأوغندا إلى حالة عامة من الرُّكود التَّعليميِّ في إفريقيا - على الأقلِّ -، ومتغيِّراتٍ متشابكة قد تخرج عن نطاق التَّعليم نفسه.

الظُّهور المكثَّف للجامعات الكنسيَّة بأوغندا وفي شرق إفريقيا لا يمكن الاستهانة به أو تجاهُله في حقل العمل الإسلاميِّ

وما يثير قلق المشتغلين بالتَّعليم الأوغنديِّ هو سرعة هذا التَّردِّي واطِّراده عاماً بعد آخر، وقد أكَّد تقرير الجامعة الإسلاميَّة بأوغندا هذا الوضع، حيث جاء فيه أنَّ الجامعة حالياً تجري دراسة شاملة حول التعليم الإسلامي في أوغندا الذي بدأ يتدهور بشكل مستمر[3].

في هذا السياق؛ فإنَّ بين أيدينا تصنيفاً لأفضل عشر مدارس ثانويَّة بأوغندا لعام ٢٠١١م[4]، تبيَّن فيه أنَّ مدرسة كيبولي (Kibuli Secondary School) بالعاصمة كامبالا، وهي مدرسةٌ ثانويَّة إسلاميَّة، تحتلُّ المرتبة العاشرة في هذا التَّصنيف، وتلك مفخرةٌ للمسلمين غير أنَّ وجودها في المرتبة الأخيرة يثير قلق المهتمِّين بالشَّأن الإسلاميِّ في أوغندا، خصوصاً أنَّ هذه المدرسة من بواكير المدارس في الدولة؛ إذ أسِّست في عام ١٩٤٥م برعاية مباشرة من الأمير بدر كاكوغولو، وكانت مدرسة الصَّفوة أبناء الأمراء آنذاك.

بالإضافة إلى ذلك؛ فإنَّ عهد الرَّئيس المسلم عيدي أمين (١٩٧١ - ١٩٧٩م) كان العهد الذَّهبيَّ للإسلام والمسلمين في الدَّعم الحكوميِّ للتَّعليم الإسلاميِّ والعمل الدَّعويِّ، فكان من المنتظر أن تكون النَّتائج والمخرجات على مستوى هذا الدَّعم.

ومن مؤشِّرات التَّدنِّي المستمرِّ، في التَّعليم الإسلاميِّ بشكل عام بأوغندا، تزايُد نسب الرُّسوب في الامتحانات الوطنيَّة العامَّة التي تجريها هيئة الامتحانات للمدارس الإسلاميَّة[5] نهاية كلِّ عام دراسيٍّ، ويتمُّ على إثرها توزيع النَّاجحين في الثَّانويَّات الوطنيَّة، ففي عام ٢٠١١م - مثلاً - زاد عدد الرَّاسبين في هذا الامتحان عن العام قبله بمجموع (٤٣٩)، وفي العام الحالي ٢٠١٢م رسب (٧٠٠) طالب من مجموع (٢٣٨٠) ممتحناً، وقد أكَّد الشَّيخ يحيى لوكُوَاغو (رئيس جمعيَّة المدارس القرآنيَّة بأوغندا) أن هذا التَّدنِّي في نسَب النَّجاح مطَّردٌ كلَّ عام، ومطَّردٌ في المواد الدِّراسيَّة كافَّة[6].

وفي ظلِّ عدم توفُّر معلومات دقيقة عن واقع التَّعليم فيما قبل الجامعة بأوغندا؛ فإنَّنا نعتمد على هذه

(١) USAID، p ٣٥.

(٢) أقامت منظمة إيسسكو ومنظمة الجامعات الإسلامية مؤتمراً بعنوان: المؤتمر الإقليمي الأول حول التعليم الإسلامي في يوغندا، في يوليو ٢٠١٠م، ولكننا لم نعثر على شيء من أوراق هذا المؤتمر، وإنما وجدنا خبراً مختصراً في موقع إيسسكو: http://www.isesco.org.ma/arabe/news/news.php?id=2271
تم التصفح بتاريخ: ١٧/٣/٢٠١٢م.

(٣) تقرير الجامعة الإسلاميَّة بأوغندا، ص ٦.

(٤) www.ServeAfrica.info، accessed on 14 March 2012.

(٥) Islamic Primary Leaving Examination Board. IPLE.

(٦) Al-Mahdi Senkabirwa: "Hundreds fail Islamic Exam", Daily Monitor، January 18، 2012.

الظَّاهرة لتَّأكيد أنَّها كافية لإطلاق ناقوس الخطر لواقع التَّعليم الإسلاميِّ بأوغندا، خصوصاً أنَّ المشتغلين بالتَّربية والتَّعليم في هذا البلد يؤكِّدون هذا الوضع.

مؤشِّرٌ آخر يدعونا لوضع علامات استفهام - وتعجُّب كذلك - حول مستوى التَّعليم الإسلاميِّ بأوغندا، وذلك إذا جاز لنا اعتبار اللُّغة العربيَّة مجسّاً لنبض هذا التَّعليم هبوطاً وارتفاعاً، ونحسب أنَّها كذلك، فحين قراءة كلِّ سطر في تقرير بين أيدينا الآن للجامعة الإسلاميَّة بأوغندا[1] لا نملك إلا الأسى على العربيَّة، وذلك لإيماننا أنَّ الجامعة الإسلاميَّة تمثِّل قمَّة ما انتهى إليه التَّعليم الإسلاميُّ بأوغندا، وأنَّ كلَّ ما يصدُر عن رئاستها - على وجه الخصوص - من تقارير رسميَّة ينبغي له أن يبلغ مستوًى مثاليّاً من السَّلامة اللُّغويَّة[2].

ج - التَّعليم العالي بأوغندا وموقع التَّعليم الإسلامي فيه:

لا تختلف ظروف التَّعليم العالي في أوغندا عن مثيلاتها من دول إفريقيا المستعمرة، من حيث النَّشأة والتَّطوُّر، ولعلَّ أبرز صبغة تمثِّل قاسماً مشتركاً بين دول إفريقيا جنوب الصَّحراء كافَّة، هي ندرة المؤسَّسات التَّعليميَّة العليا؛ إذ لم تكن توجد بكلِّ دولة إفريقيَّة على حدة أكثر من جامعة، بل إن بعض الدُّول لم توجد بها جامعة إلا في حقبة التِّسعينيَّات من القرن الماضي أو بعدها.

وهذه النُّدرة في عدد المؤسَّسات التَّعليميَّة العالية بدُوَل إفريقيا ظاهرة منبثقة - في الحقيقة - عن الظَّرف الاستعماريِّ، والذي حرص كلَّ الحرص على أن يختزل الشَّأن الإفريقيَّ كلَّه في اتِّجاه أحاديٍّ ينطلق من المستعمر وإليه يعود.

على سبيل المثال؛ فإنَّ أوَّل جامعة بأوغندا، جامعة ماكيريري، قد أسِّست منذ عام ١٩٢٢م، ولم تشهد هذه الدَّولة ولادة مؤسَّسة تعليميَّة عالية أخرى إلا في عام ١٩٨٨م، أي بعد ستٍّ وستين سنة، ومن الصَّعب في المجال التَّربويِّ المرور على مثل هذه الظَّاهرة مرور كرام؛ لأنَّنا بإزاء أجيال متعاقبة في سبعة عقود، ذات أحاديَّة فكريَّة وثقافيَّة في مؤسَّسة هي من وضع المستعمر وتشكيله، كما يعني حرمان شريحة كبيرة من هذه الأجيال من التَّعليم الجامعيِّ طيلة هذه العقود؛ إذ إنَّ جامعة منفردةً لا تقدر على مواجهة الازدياد السُّكاني، واستيعاب الشَّباب على هذا المدى الطَّويل.

د - تطور التعليم الإلإسلامي بأوغندا:

ومن أهمِّ الظَّواهر التي يجدر تسجيلها حول الحقبة الجديدة لتطوُّر التَّعليم الجامعيِّ بأوغندا، أي بعد انحسار الفترة الأحاديَّة والانفتاح النِّسبيِّ في المجال التَّربويِّ وغيره من المجالات، الظَّواهر الآتية:

(١) سرعة الازدياد الكميِّ للمؤسَّسات التَّعليميَّة العالية:

فمنذ عام ١٩٨٨م حتى عام ٢٠١٠م بلغ تعداد الجامعات الأوغنديَّة ثلاثين جامعة، أي بمعدَّل

---

(١) هو تقرير الجامعة الإسلامية في أوغندا إلى الجلسة الرابعة عشرة للجمعية العامة للكومستيك المنعقد في إسلام آباد، ١١ - ١٣ يناير ٢٠١١م، وهو موجود بموقع الجامعة الرسمي: www. iuiu. ac. ug ، تمت معاينته بتاريخ ١٤ مارس ٢٠١٢م.

(٢) ورد في التقرير ما يأتي:
«١.٣ وضع المؤظفين: أثناء سنة دراسية ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩ الجامعة كان عندها ٧٢ إداري كبار، و ٩٧ موظف مساندون» (ص ٣).
«٣.٥.٣ إسكان الموظفين: هي من مصلحة الجامعة أن يسكن موظفوها في الحرم الجامعي لانخفاض النفقات السكنية والحفاظ على الأخطار في استقرار الموظفين خارج الحرم الجامعي حيث ان في السنة الماضية اثنين من منسوبنا (طالب واحد من عمال المقاولين العرب) عانا بضربات بالمجرمين والإصابات الحرجة وتوفي الطالب، وعامل المقاولين العرب حالياً» (ص ٧).
«نحتاج إلى ١٠،٠٠٠ دولار لهذا البناء، وإذا يفشل البناء هناك خطر لخسران مركز الشرطة الذي يزيد عدم أمان على المزرعة» (ص ١٣).
ويغلب الظنُّ أنَّ هذا التَّقرير الرَّسميَّ المكوَّن من تسع وعشرين صفحة قد وُضع بالإنجليزيَّة، ثم تُرجم ترجمةً آلية إلكترونيَّة مع مراجعة عابرة! فأين الجديَّة؟ وأين كليَّة اللُّغة العربيَّة وآدابها التي افتُتحت بها الجامعة؟ وهل نُلام إذا حكمنا على التَّعليم الإسلاميِّ انطلاقًا من هذا التَّقرير؟ فاللُّغة العربيَّة وعاءٌ للتَّعليم الإسلامي، ولا شكَّ أنَّ أيَّ انحطاط يطرأ على المستوى الكفائيِّ أو الأدائيِّ لهذه اللُّغة لدى المشتغل بالتَّعليم الإسلاميِّ؛ فإنَّه نذير انحطاطٍ وتردٍّ في مستوى هذا التَّعليم.

(١,٣٦) جامعة جديدة في كلِّ عام، وتتراوح تلك الجامعات بين: عموميَّة، وخاصَّة أهليَّة، وجامعات تجاريَّة ربحيَّة، وجامعات متخصِّصة، وتلك حالةٌ عامَّة في العالَم، وفي شرق إفريقيا خاصَّة، ففي تنزانيا مثلاً، ارتفعت نسبة الجامعات الأهليَّة في الفترة (٢٠٠٢ - ٢٠٠٧م) بنسبة (١٤٣٪)، وازداد معدَّل التَّسجيل فيها بنسبة (٥٠٠٪)[١].

من معوِّقات التَّعليم الإسلامي بشرق إفريقيا، بل في إفريقيا عامَّة، عدم التَّنسيق بين المشتغلين بهذا العمل فيما بينهم

(٢) السَّبق الإسلاميُّ في التَّعليم العالي:

لقد حاز المسلمون قصب السَّبق في فترة الانفتاح في التَّعليم العالي بأوغندا، وذلك بإنشاء الجامعة الإسلاميَّة بأوغندا عام ١٩٨٨م، بتمويل من منظَّمة المؤتمر الإسلاميِّ، ولا شكَّ أنَّ ذلك إنجازٌ تاريخيٌّ للإسلام وللمسلمين بهذا البلد، وقد ورد في تقرير الجامعة لعام ٢٠١١م أنَّ بها (٥٧١٩) طالباً من الأوغنديِّين، و (٥٦٣) من دول أخرى هي: تنزانيا، وكينيا، وملاوي، والصومال، والسودان، وجزر القمر، ومصر، وإيران.

(٣) تنامي الجامعات المسيحيَّة:

ممَّا يثير اهتمام راصد واقع التَّعليم العالي بأوغند كثرة الجامعات المسيحيَّة؛ إذ بلغ تعدادها في عام ٢٠١٠م إحدى عشرة جامعةً، متوزِّعة على مختلف الإرساليَّات والفِرَق الكنَسيَّة، مثل الكاثوليكيَّة، والبروتستانت، وكنيسة السَّبتيِّين (The Seventh Advantists)، بل إنَّ الكنيسة الواحدة قد تكون لها أكثر من جامعة، وتلك حال الكنيسة البروتستانتيَّة الأنجليكانيَّة، فلها أربع جامعات، هي[٢]:

١ - جامعة أوغندا المسيحيَّة (The Uganda Christian University Mukono).

٢ - جامعة اندِيجي (Ndejje University).

٣ - جامعة بوغندا الوسطى (Central Buganda University).

٤ - جامعة بوسوغا (Busoga University).

وللكنيسة الكاثوليكيَّة الرُّومانيَّة جامعتان، هما: جامعة انكوزي Uganda Martyr University Nkozi، وجامعة كيسوبي Kisubi Brothers University College.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ ظَّاهرة كثرة الجامعات المسيحيَّة ظاهرةٌ عامَّة في إفريقيا، وقد أحصينا في إحدى المواقع الإلكترونيَّة منها (٦٧) جامعةً بإفريقيا جنوب الصَّحراء منذ عام ٢٠٠٨م، منها ستُّ جامعات في كينيا، وأربع جامعات في تنزانيا[٣]، ولا يمكن الاستهانة بهذا الظُّهور المكثَّف للجامعات الكنسيَّة بأوغندا وفي شرق إفريقيا أو تجاهُله في حقل العمل الإسلاميِّ.

ولا بد هنا من طرح سؤال جوهريٍّ: تُرى ما موقع التَّعليم الإسلاميِّ، أو - بالأحرى - ما موقع الجامعة الإسلاميَّة في هذه الرُّقعة التَّعليميَّة بأوغندا؟ وللإجابة عن هذا السُّؤال، مع شحِّ المصادر والوثائق المعتمدة، لا نملك إلا الاستئناس ببعض الإحصاءات على الشَّبكة العالميَّة عن تصنيف الجامعات

(١) The World Bank Publications: The Evolving Regulatory Context for Private Education in Emerging Economies, p 7.

(٢) Muwagga, Anthony Mugagga: "Reflections on the Philosophy behind the different universities in Uganda", Educational Research, Vol 2 (1), p736 - 744, 2011.

(٣) http://www.lapche.org/research.htm ، accessed on: 18 March 2012.

الأوغنديَّة من حيث جودتها[1].

تبيَّن الإحصاءات أنَّ الجامعة الإسلاميَّة بأوغندا تحتلُّ مركزاً جيِّداً في هذا التَّصنيف؛ ممَّا يمكن الاتِّكاء عليه، ودعمه حتى تتصدَّر هذه الجامعة قائمة الجامعات الأوغنديَّة، أو بتعبير التَّقرير الرَّسمي للجامعة: «قرَّر مجلس الجامعة اتخاذ خطوات لازمة لتحويل الجامعة إلى ٢٠ جامعة متقدمة في إفريقيا»[2](!).

وأدناه التَّصنيف المذكور:

تصنيف عالمي	المؤسسة	محلي
١٦٢٩	Makerer University	١
٦٧٩٩	Ugand Christian University Mukono	٢
٧٣١٥	Kyambogo University	٣
٧٥٥٨	.Mbara Univ. of Science & Tech	٤
٧٧٥٦	.Mountain of the moon Unv	٥
٧٨٠٩	.Busitema Univ	٦
٧٨٤٧	Islamic University in Uganda	٧

فالجامعة الإسلاميَّة بأوغندا تحتلُّ المرتبة السَّابعة من بين أربع وعشرين جامعة وطنيَّة هناك، لكنَّ نظرةً أخرى على خانة التَّرتيب العالمي للجامعة الإسلاميَّة لا تعطي صورة مشجِّعة لموقع هذه الجامعة عالميّاً ومحليّاً؛ فمؤشِّر التَّباين عالٍ جدّاً بين هذه الجامعة وسوابقها من الجامعات في القائمة، والدَّرجات الفارقة بين الجامعة الإسلاميَّة والجامعات السِّت الأولى على النَّحو الآتي:

الجامعات السِّت	١	٢	٣	٤	٥	٦
الجامعة الإسلاميَّة	٦٢١٨	١٠٤٨	٥٣٢	٢٨٩	٩١	٣٨

(١) www.onlineMBA.unc.edu ، Accessed on: 12 March 2012.

(٢) انظر: التَّقرير الرَّسمي للجامعة، ص ٢٩.

بناءً على هذه المؤشِّرات المقلقة لحال التَّعليم الإسلاميِّ بجميع مراحله بأوغندا؛ فإنَّ الحاجة ماسَّة للعمل من أجل الارتفاع بالتَّعليم في هذا البلد، فالتَّعليم الإسلاميُّ بأوغندا يستند إلى بنية تحتيَّة تاريخيَّة عريقة، وإلى خبرة عمليَّة جيِّدة، وتنظيم مبكِّر نسبياً لمؤسَّساته، ولكن هذا الوضع يشهد الآن فترة انحدارٍ وضعف نتيجةً لتأثيرات وتحدِّيات كثيرة، بعضها خارجةٌ عن نطاق العمل التَّربويِّ وسيطرته، وهو ما نستعرضه في الفقرات التالية.

ثالثاً: تحدِّيات التَّعليم الإسلاميِّ بأوغندا:

هذه جملةٌ من التَّحدِّيات المستخلصة عن التَّعليم الإسلاميِّ بأوغندا؛ انطلاقاً من الملامح العامَّة المعروضة عن التَّعليم الإسلاميِّ بها وبأخواتها من دول شرق إفريقيا[3].

(١) تشتُّت ديموغرافي للمسلمين:

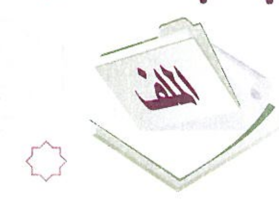
نتيجة لظروف المدِّ الإسلاميِّ بأوغندا وموقعها الجغرافيِّ، وتبعاً للهجرات القسريَّة التي خضع لها المسلمون بعد هزيمتهم في وجه النَّصارى، فإن المسلمين لهم وجودٌ واضح في أرجاء أوغندا كافَّة: في (Eganza)، وفي (Jinja)، و (Kamule)، و (Mpigi)، و (Arua)، وفي العاصمة كامبالا.

وهذا التَّوزيع السُّكانيُّ للمسلمين، وإن كانت له إيجابيَّاته، فإنَّه يمثِّل تحدِّياً كبيراً لهم في الحقل الإداريِّ والتَّربويِّ التَّعليمي، خصوصاً في ظلِّ شُحِّ وسائل النَّقل والاتصال.

(٢) التَّدريس باللغات المحليَّة:

ومردُّ تلك الظاهرة الحظر الاستعماريِّ الأوَّل للُغة السواحلية في التَّعليم منذ بدايات القرن العشرين، ومن أهم اللُّغات في التَّدريس على حسب

(٣) يوجد مقال منشور عن مشكلات التعليم الإسلامي بأوغندا، ولكننا لم نتمكن من الحصول عليه، وهو: KiyimbaAbasi. 'The Problems of Muslim Education in Uganda: some Reflections', Journal of the Institute of Muslim Minority Affairs, 7 (1), 1986.



المناطق: لغة لوغندا، ولوغبارا، ولغة ماردي، وكاكوا.

ويكمن الإشكال في استخدام هذه اللغات بوصفها لغة التَّعليم والتَّواصل في التَّعليم الإسلاميِّ، مما يُقلِّل من فُرص احتكاك الدَّارسين بالعربية، ويحوِّل مضمون المقرَّر وطريقة التَّدريس إلى ترجمة بحتة ينخرط فيها المعلم مع الدَّارس بقصدٍ منه أم بغير قصد.

(٣) التَّعليم في الظُّروف الحرجة:

يمثِّل تدني المستوى الأمنيِّ تحدِّياً آخر كبيراً للتَّعليم الإسلاميِّ بأوغندا، بل لمناشط الحياة كافَّة، ففي شماليِّ البلاد تحديداً، مجموعاتٌ مسلمة غير قليلة، ومدارس كثيرة واقعة في «المناطق الحمراء» التي تمثِّل ساحات الحرب والمواجهة بين القوات الحكوميَّة وميليشيات «جماعة الرَّب» المسيحيَّة (LRA)، ويعني ذلك انعدام أيِّ نوع من الرِّعاية لتلك المجموعات والمدارس، وأنَّ مهام المدرسة في تلك المناطق تتعدَّى حدود التَّربية والتَّعليم المعهودة إلى الحفاظ على الأطفال من الوقوع فريسة للتَّجنيد القسريِّ في صفوف الفرَق المتقاتلة.

(٤) الإدارة غير المسلمة للمدارس الإسلاميَّة:

تبعاً للدَّعم الحكوميِّ لبعض المدارس الحكوميَّة؛ فإنَّ الحكومة تعيِّن للتَّدريس بها معلِّمين من غير المسلمين، كما تُسند إدارتها إلى مدير وإدارة غير مسلمة، وتُحوِّل إليها أعداداً من التَّلاميذ غير المسلمين، وربَّما يكون عدد المعلِّمين من غير المسلمين أكثر من المعلِّمين المسلمين بالمدرسة.

والإشكال في هذا المقام واضحٌ؛ فالمعلِّم هو ابن عقيدته وثقافته ومنشئه، ويبدو الإشكال أعمق كما يذكر الباحث «كييمبا» في تفوُّق عدد التَّلاميذ غير المسلمين على المسلمين في بعض المدارس الواقعة في التَّجمُّعات ذات الأغلبيَّة المسلمة[1]! ولا شكَّ أن التَّعليم الإسلاميَّ لا يمكنه تحقيق أهدافه في مثل هذا الظَّرف غير الخصب لنماء تربية إسلاميَّة.

(٥) تقليص نطاق التَّعليم الإسلامي مقابل الدعم الحكومي:

تحظى بعض المدارس الأهليَّة بدعم من الحكومة الأوغنديَّة؛ بشرط أن تتبنَّى المنهج التَّعليميَّ الحكوميَّ الذي يدرج التَّعليم الإسلامي كمادة فقط ضمن المقرَّرات الأخرى، وفي نهاية العام الدِّراسي يؤدِّي تلاميذ تلك المدارس امتحانات الحكومة، ويُمنح خرِّيجوها أيضاً شهادات حكوميَّة.

في الواقع؛ فإنَّ هذا «الدَّعم» لا يُعدُّ شيئاً ذا بال بمقابل ما تضحِّي به تلك المدارس من أهداف للتَّعليم الإسلاميِّ، فمن المحال أن تحقِّق مادةٌ يتيمةٌ، لا يتعدَّى محتواها العموميَّات، أهداف منظومة متشابكة من المقرَّرات والأنشطة والاستراتيجيَّات التَّعليميَّة المتوخَّاة في المنهج التَّربويِّ الإسلامي.

رابعاً: التَّحدِّيات والمعوِّقات المشتركة:

من التَّحدِّيات والمعوِّقات التي نحسبها مشتركة بين دُول شرق إفريقيا أو بين دُوَل إفريقيا عامَّة:

(١) إشكال المنهج في المدارس المزدَوَجة (Integrated Schools):

من التَّحدِّيات التي تواجه التَّعليم الإسلاميَّ بشرق إفريقيا، ومعظم دُول إفريقيا، عجز المسؤولين التَّربويِّين عن تخطيط منهج تعليميٍّ جيِّد بإزاء المقرَّر الحكوميِّ الذي ينبغي الأخذ به كاملاً.

وفي بعض الحالات تصل المواد الحكوميَّة إلى العشرين، فتعجز المدرسة الإسلاميَّة عن الدَّمج الذَّكي بين المواد الشَّرعيَّة المتعدِّدة في بضع مقرَّرات مركَّزة؛ فتنوء كواهل الدَّارسين بالمواد الدِّراسيَّة، فلا يملك الجادُّون منهم في أحسن الحالات إلاَّ التَّضحية بأحد المنهجين للآخر.

(١) Kiyimba. Abasi. Op. cit., p 6.

التَّعليم الإسلاميّ بشرق إفريقيا، على الرغم ممَّا يعتريه من عوارض الضَّعف والوهن، ما زال يحتوي على الكثير من المناعة ودواعي النهوض

هـــذا، وفي كينيـــا خصوصاً، نمـــاذج جيِّدة من المـــدارس المزدوَجـــة التـــي نجحت فـــي التَّوفيق بيـــن المنهجَيـــن، وحقَّق طلابهـــا نجاحاً قياســـيّاً في الاختبـــارات الحكوميَّة، مما شـــجَّع بعض غير المسلمين على إلحاق أطفالهم بتلك المدارس[١].

(٢) التَّنفير من اللغة العربيَّة والتَّعليم الإسلامي بسبب ضعف مستوى المعلمين:

لقد خطت بلاد شرق إفريقيا وحكوماتها خطوة مشـــكورة في إدخال اللُّغة العربيَّة والعلوم الإسلاميَّة في التَّعليم الثَّانويِّ والجامعيِّ رسميّاً، وأسنِدَ التَّدريس في جميع الحالات إلى المسلمين.

لكـــن ذلك لم يُحدث تطـــوُّراً إيجابيّاً في حال اللغة العربيَّة والدِّراســـات الإسلاميَّة، وذلك بسبب الضَّعف الملموس في معلِّمي اللُّغة العربيَّة، مقارنة بمعلِّمـــي المـــواد الأخرى فـــي الجانـــب المهنيِّ، وانتهاجهم وســـائل تعليميَّة تنفِّر من اللُّغة والعلوم الشَّـــرعيَّة، حتى إنَّ بعض الطلبة المســـلمين في كينيا مثلاً، يفضِّلون الجلـــوس في امتحانات مادة التَّربية المســـيحيَّة؛ «لكونها مكتوبـــةً بالإنجليزيَّة التـــي يفهمونهـــا، ولصعوبة مناهج تعليـــم التَّربية الإسلاميَّة؛ ولضعف القائمين على تدريس العربيَّة وتدريس العلوم الإسلاميّة»[٢].

(٣) ارتبـــاط تعلُّم اللُّغة العربيَّة بســـوق العمل الضَّيِّقة:

تنفرد بلاد شرق إفريقيا (كينيا خاصَّة) بظاهرة ارتبـــاط تعلُّم اللغة العربيَّة بســـوق العمالة إلى بلاد الخليج، ويســـتوي في تعلُّمها المسلمون وغيرهم[٣]، وإذا ما انتشـــر هـــذا الوضع فإنَّه يوشـــك أن يحطَّ بمستوى التَّعليم الإسلاميِّ العربيِّ إلى نطاقٍ ضيِّق، لا يتجاوز الزَّجَّ بمفردات وتعبيرات ركيكة إلى الذَّخيرة اللُّغويَّة للدَّارســـين، وتغليـــب العاميَّات على الفصيح تبعاً لطبيعة الأسواق المستهدفة.

(٤) تشتُّت الجهود التَّعليميَّة والدَّعويَّة:

من معوِّقات التَّعليم الإسلامي بشرق إفريقيا، بل في إفريقيا عامَّة، عدم التَّنســـيق بين المشتغلين بهذا العمل فيما بينهم، وينتج عن ذلك تشتت الجهود، وهدر الإمكانـــات، وتكرار التَّجارب، حيث لا يوجد تنســـيقٌ بين الجمعيَّات الخيريَّة المعنية بالشَّـــأن الإســـلاميِّ فـــي الدُّول الإفريقيَّة خاصَّة، فلـــكلِّ منظَّمة برامجها ومشـــروعاتها فـــي المجـــال التَّعليمـــيِّ أو غيره من المجالات، دون اعتبارٍ لوجود المنظَّمات الإســـلاميَّة الأخرى التي لا تختلفُ عنها في الأهداف والرُّؤى.

وبهذا الصَّـــدد؛ يمكن التَّنســـيق بيـــن كبريات الهيئات الوطنيَّة المعنيَّة بشؤون التَّعليم الإسلاميِّ في كلِّ بلد في شـــرق إفريقيا، مثل: جمعية مسلمي كينيا للرعايـــة، Kenya Muslim Welfare Society KMWS ١٩٧٣، وجمعية المسلمين للتربية والرِّعاية Muslim Education &Walfare، MEWA ١٩٩٥ ، وجمعية مسلمي أوغندا للتَّعليم (UMEA).

(٥) ضعـــف المشـــاركة فـــي المشـــروعات الاجتماعيَّة:

من الأخطاء التي ما زالت المؤسَّسات التَّعليميَّة

(١) www.al-forqan.net/articles/print-1842.html

(٢) امبورالي كامي مادي: البيئة التعليمية والتربوية في شرق إفريقيا: كينيا نموذجاً، مجلة دراسات إفريقية، ع٤٠، مركز الدراسات الإسلامية بجامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، ٢٠٠٦م.

(٣) مدير معهد اللغة السواحيلية، تطور التعليم الإسلامي في زنجبار: دور المنظمات الإسلامية غير المحلية في إحياء التعليم الإسلامي، ينظر الموقع: http://www.omanlover.org/vb/archive/index.php/t-87811.html

والدَّعويَّة ترتكبها في إفريقيا، بُعدها عن المشاركة في قضايا المجتمع المدني، مثل أنشطة مكافحة مرض الإيدز، ومحاربة المخدرات، والحدِّ من الفقر.

وهذا الغياب عن مشكلات المجتمع الفعليَّة يزيد من غربة تلك المؤسَّسات، ويُضعف من الاعتبار الشَّعبيِّ لها، ففي تقرير سنويٍّ لوزارة العمل والتَّطوير الاجتماعي بأوغندا (٢٠٠٨م)، في فقرتها الخاصَّة بمساهمة المنظَّمات الدِّينيَّة في تعليم الكبار، وصف التَّقرير النَّصارى بأنَّهم «أكبر الفاعلين» (biggest champions)، في هذا المجال، وأورد قائمةً بالمؤسَّسات الكنسيَّة العديدة النَّشطة في محو الأميَّة وتعليم الكبار[1].

من مؤشِّرات التَّدنِّي المستمرِّ في التَّعليم الإسلاميِّ بشكلٍ عام بأوغندا، تزايُد نسب الرُّسوب في الامتحانات الوطنيَّة العامَّة

(٦) القصور في استغلال الموارد الاستثماريَّة:

تتوفَّر لدى بعض المؤسَّسات التَّعليميَّة بإفريقيا رؤوس أموال من عقارات وأراضٍ زراعيَّة ممَّا لا بأس به في الاستثمار، لكن تلك المؤسَّسات عاجزة عن استثمار تلك الأموال؛ فنراهم يشكون العجز بينما تتوفَّر بين أيديهم الوسائل الماديَّة اللَّازمة، ففي حال الجامعة الإسلاميَّة بأوغندا، نجد أن التَّقرير الذي أشرنا إليه مراراً، ينصُّ على حيازة الجامعة لمئات الهكتارات الممنوحة لها من قِبَل الحكومة أو غيرها.. من ذلك (١٧) هكتاراً بالعاصمة كامبالا، وألفا هكتار بمنطقة أروغا، و (٣٠٠) هكتار في امْبيلي، و (١٣٠) هكتار بمنطقة أروغا أيضاً.. فكلُّ تلك العقارات تعدُّ رؤوساً استثماريَّة كبيرة إذا ما استُغلَّت استغلالاً واعياً.

(٧) العجز عن حشد الدَّعم الشَّعبي والمادي للمشروعات الإسلاميَّة:

من المظاهر الإيجابيَّة في المجتمعات الإفريقيَّة الدَّعم الشَّعبي المطلق للعمل الإسلاميِّ، ومن مظاهر ذلك في بعض المجتمعات (مالي والسنغال مثلاً) أنَّ حقَّ الشَّيخ المعلِّم على طلابه يتقدَّم حقَّ والديهم عليهم؛ فهو يوجههم كيفما شاء دون أدنى مساءلة من أحد، هذا المظهر لم يتمَّ استغلاله في التَّعليم الإسلامي بإفريقيا.

وفي مجال جمع الدَّعم الماديِّ لإقامة المشروعات الإسلاميَّة؛ فالغالب على القائمين بشؤون الدَّعوة استجداء أهل الخير واليسار من خارج البلاد، مع أنَّ بحوزتهم مخزوناً محليّاً ثريًّا لو أحسنوا توظيفه بالطُّرق العلمية الحديثة، من خلال التَّوعية وإقامة الوقفيَّات، لأتى ذلك بما يغنيهم عن المساعدات الخارجيَّة، خصوصاً أنَّ المسلمين من أغنى الأفراد عادةً في المجتمعات الإفريقيَّة[2].

خامساً: مقترحاتٌ عامَّة:

في نهاية هذا المقال يجمُل بنا وضع بعض المقترحات العامَّة؛ من أجل الارتقاء بمستوى التَّعليم الإسلاميِّ بشرق إفريقيا.

(١) توحيد المناهج الإسلاميَّة:

ولعلَّ أوغندا من أكثر تلك الدُّول نجاحاً في هذا المجال؛ إذ بلغت نسبة المدارس التابعة للهيئة

(١) Ministry of Gender، Labor and Social Development، National Report on Adult Education in Uganda، April 2008، http://www.mglsd.go.ug. accessed on: 14 March 2012

(٢) في كينيا – مثلاً – يوجد خمسة عشر مسلماً من مجموع أغنى عشرين شخصية، ويصدق مثل ذلك في مالي والسنغال، وربما في نيجيريا أيضاً.

الوطنيَّة للتَّعليم الإســـلاميِّ (٧٥٪)، وقد سعت كينيا لتحقيق هذا الهدف، فوضعـــت ما يُعرف بـ «ميثاق التعليم الإســـلاميِّ الوطني»، وأكَّـــد رئيس المحاكم الشَّرعية بها على ضرورة هذا الأمر، شاجباً قصور العاملين التَّربويِّين في هذا المجال[1].

(٢) تأســـيس شـــهادة إقليميَّة ثانوية لشـــرق إفريقيا:

وقد يقضـــي هذا الإجـــراء علـــى الكثير من مواطـــن القصور فـــي التَّعليم الإســـلاميِّ، ويحقِّق تقريب المناهـــج المتَّبعة في كلِّ دولـــة وتطويرها، وهذا المشـــروع يمكن أن يلتحم فـــي صورة كبيرة بتجـــارب منظمة «الاتِّحاد العالمي للمدارس العربية الإسلاميَّة الدولية» (أسست ١٩٩٦م)[2] التي وضعت من مشـــروعاتها إنشـــاء مجلس إســـلاميٍّ عالمي للامتحانات.

(٣) إنشاء مركزٍ بحثيٍّ إقليميٍّ:

وذلـــك على غرار معهـــد البحـــوث الإفريقية بالخرطـــوم وبالقاهرة، وفي التَّقريـــر الذي تكرَّرت الإشارة إليه، ذُكر أن الجامعة الإسلاميَّة بأوغندا قد شرعت في دراسة شـــاملة حول التَّعليم في أوغندا وفي شـــرق إفريقيا، لكنَّ هذا المشـــروع قد توقَّف بســـبب الحاجة إلى التَّمويل، لـــذا نرى أن مثل هذه المشروعات، ليس من الأســـلَم أن تستقلَّ بها جهَّة أو دولةٌ واحدةٌ.

(٤) تفعيل معاهـــد تدريب المعلِّمين والمديرين الموجودة بدول شرق إفريقيا:

من خلال توسيع نطاقها لتشمل التَّدريب مستوى التَّعليـــم العالـــي للمحاضرين؛ حيـــث إنَّ كثيراً من خريجي الجامعات الإسلاميَّة حملة الشَّهادات العالية لا يختلفـــون كثيراً عن نظرائهم مـــن معلِّمي التَّعليم العامِّ من حيث الإعداد المهنيِّ للتَّدريس.

(٥) تفعيل «ملتقى مديري الجامعات الإسلاميَّة»:

ومن صُور التَّفعيل الجـــادِّ لهذه المبادرة وضع خطَّة اســـتراتيجيَّة ملزمة لجميع الأعضاء من تلك الجامعات، بمتابعة برنامـــج تطويريٍّ، يمكن أن يبدأ بتدريب مكثَّف للمديرين في مهارات الإدارة، وتوكيل أمـــر مراقبة معايير الجودة بالجامعات إلى شـــركة متخصِّصة في هذا المجال، وتلك أمورٌ ممكنة إذا ما حُدَّت من وتيرة اللِّقاءات الكثيرة، والأســـفار المكلفة للتَّركيز في الواقع العملي في السَّاحة.

(٦) إنشاء جامعة إسلاميَّة مفتوحة:

لعـــلَّ الأوان قد آن للتَّعليم الجامعيِّ الإســـلاميِّ بإفريقيا الدخـــول في تجربة التَّعليم عن بُعد، وحتى إذا صدُق القـــول إنَّ التَّطوُّر التقني ببلاد إفريقيا لم يرتق إلى هذا المستوى؛ فإنَّ ذلك لا يمنع الشُّروع في تجربة الجامعات المفتوحة؛ إذ يُحتمل أن تغطِّي بعضاً من القصور في القوَّة الاســـتيعابيَّة للجامعة الحاليَّة، كما يســـاعد في الحدِّ من «الهدر التكنولوجي» لدى الشَّباب الذين يقضون عشرات السَّاعات في المواقع الإلكترونيَّـــة فيما لا فائدة منـــه، ويضيعون في ذلك أيضاً بعض الأموال.

خلاصة القـــول: إنَّ بلاد شـــرق إفريقيا تتمتَّع بموروث تاريخـــيٍّ واجتماعيٍّ قـــويٍّ، وببنية تعليميَّة عريقة في مجال التَّعليم الإســـلاميِّ، تساعدها في مواجهـــة التَّحدِّيات الكثيرة التي تعترض طريقها في تطوير التَّعليم الإســـلاميِّ؛ لمواكبة متطلَّبات العصر الرَّاهن في الإطار الإسلاميِّ الصَّحيح.

هذا، وإنَّ واقع التَّعليم الإسلاميِّ بشرق إفريقيا، على الرغم ممَّا يعتريه من عوارض الضَّعف والوهن، مـــا زال يحتوي علـــى الكثير مـــن المناعة ودواعي النُّهوض، خصوصاً إذا أخذ القائمون بشـــأن التَّعليم الإسلاميِّ بالمكتسبات التَّربويَّة والحضاريَّة في تلك المنطقة، وأعادوا تفعيلها وبثِّ النشـــاط فيها بإذن الله.

(١) www.muntada.islammessage.com، accessed on: 18th March 2012.

(٢) www.wfais.org